Etude critique sur la formation de la doctrine des races au XVIII^e siècle et son expansion au XIX^e siècle, par Théophile Simar.

بحث انتقادي في منشإ مذهب العناصر البشرية في القرن الثامن عشر
وفي انتشاره في القرن التاسع عشر
تأليف تيوفيل سيمار الكتبي في نظارة المستعمرات طبع في بروكسل
في مطبعة موريس لامرتن عام ١٩٢٢

من اجل المباحث العلمية الفلسفية التي تبارت في مضمارها عقول العظماء من فلاسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر في اوربة العناصر البشرية من حيث تكونها ونشوؤها واقسامها وتطوراتها واخلاقها وطبائعها ومميزاتها ونسبة بعضها الى بعض من المباحث الجليلة الغامضة الوعرة . وقد كان لما ذهب اليه اولئك العلماء من النظريات على ما فيها من صحيح وفاسد تأثير عظيم على تطور المدنية الغربيـة وبوجه خاص على سياسة الاستعمار الاوربي في افريقية وآسية وامريكة وعلى معاملة الشعوب الضعيفة المغلوبة على امرها . وبالنظر لملائمة هذه المذاهب الجديدة روح العصر وموافقتها ميول الأمم المستعمرة كان لانتشارها في العالم الاوربي سرعة البرق . على ان الحرب العامة التي اشترك فيها الافريقي والفرنسي والهندي والانكليزي والزنجي والاميركي جنباً لجنب اماطت الغطاء عن فساد تلك المذاهب والنظريات التي لا مروج لها سوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الانانية والنفع الخاص . وقد أيد ذلك الكتاب الذي وضعه تيوفيل سيمار ونشره المجمع العلمي الملكي البلجيكي تحت عنوان : بحث انتقادي في منشإ مذهب العناصر البشرية في القرن الثامن عشر وفي انتشاره في القرن التاسع عشر فقد فند فيه المؤلف مذاهب جميع الفلاسفة والكتاب في العناصر البشرية ثم انتقدها بصورة موجزة انتقاداً دل على طول باعه وسعة اطلاعه وذلك في احد عشر فصلاً وخاتمة بحث فيها في الموارد الأصلية التي استقت منها تلك المذهب التي ترمي جميعها الى القول بتعدد الجنس الانساني وان الاقوام البشرية لم تنشأ من اصل واحد وان لكل عنصر جوهراً خاصاً ونشوءاً تاريخياً محدوداً بنسبة ذلك الجوهر وان الامم مسيرة غير مخيرة : منها ما تؤهلها قابليتها الخاصة للرقي المتواصل . ومنها ما تقضي عليها طبيعتها بالانحطاط الدائم . وان ذلك الرقي وهذا الانحطاط مقدران ووافعان حتماً بعامل القوى الطبيعية الحيوية وان الطبيعة هي القوة والقوة هي الحق وان من حق القوي ان يحكم الضعيف سنة الطبيعة في العالم ولن تجد لهذه السنة تبديلاً . وقد ادلى المؤلف بكل حجة وبرهان على فساد هذه المذاهب وبطلان نظرياتها وانها لم ترتكز كما يدعيه روادها على قوانين علم الانتروبولجيا اي علم نشوء الطوائف البشرية بل مصدرها عوامل الخلاف والشقاق التي انتشرت في اواخر القرون الوسطى واهمها :

١ النزاع الشديد الذي قام ما بين الطبقات الاجتماعية في فرنسة وتمسك الاشراف بحقوق السلطة الارثية التي يسمونها حق الدم .

٢ اكتشاف امريكة وحدوث فكرة الاستعمار التي نشأت عنها مسألة الرق ودعوى حقوق الفاتح

٣ المذهب البروتستاني القائل بالالهام الشخصي وان الانسان مسير وان الايمان يبرر العمل

٤ فلسفة العصر الأخير التي تحولت من العقلي الى الحسي الى المادي الى المذهب الجديد القائل بافضلية القوى النفسانية الحيوانية على المنطق والعقل .

وبعد ان بحث المؤلف في نشوء هذه المذاهب وتطورها وانتشارها في كل من فرنسة وانكلترة والمانية وبلجيكة وايتالية وامريكة قبل الحرب العامة وعقبها اختتم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتابه بذكر النتائج المؤلمة الخطيرة التي ولدتها هذه النظريات واهمها توسيع هوة التنافر بين الشعوب الاوربية والاقوام المغلوبة والمستعمرة وايغار صدور الامم ذات البشرة الملونة واثارة نيران الحقد فيها ضد العرق الابيض مما دعا الدكتور دي بوا ان يقول: «اذا لم يرجع العالم الأبيض عن ظلم الاقوام السوداء والحمراء والصفراء واحتقارها واذلالها فان اهوال الحرب العالمية الأخيرة سوف لا تكون شيئًا امام تلك الحرب الطاحنة التي سوف تضرمها الشعوب المغلوبة المظلومة لنيل حريتها .» وقد اختتم المؤلف كتابه قائلاً: ان مذاهب العناصر قد فسح للغرب مجالاً واسعًا للاستعمار تغلغل في احشائه غير اننا قد اخذنا نبصر اليوم ظهور المجن ونتساءل مع الدكتور لجاندر: الى اين انت ذاهبة يا اوربة؟ ... فلتتراجع بكل جرأة ولتعترف بخطإنا بلا تردد ولتعلم ان تلك الالفاظ الخلابة كالعنصر وشرف الدم والنجابة القومية لا تحل لنا ذلك المشكل المعقد الخطير الذي يبدو الآن امام عيوننا بكل جلاء الا وهو مصير علائقنا في المستقبل مع الاسيويين والافريقيين

ومهما يكن في آراء المؤلف الفاضل المسيو تيوفيل سيمار مما يتعارض مع آراء ونظريات كثير من العلماء في هذا العصر الحاضر فلا يسعنا نحن الشرقيين الا ان نشكر له تلك العواطف السامية المجردة عن الانانية والعصبية وندعو كل من له المام باللغة الفرنسية الى مطالعة كتابه هذا ليقف على ما تتضمنه تلك المباحث

الدكتور اسعد الحكيم
العضو في المجمع العلمي العربي

***